

خيمة الرحالة بدل رفو

عادت الخيمة الزرقاء إلى أرض مخيم أزيلان، يحرص صاحبها الرحالة بدل رفو أن ترسو في نفس المكان الذي رست به منذ لقائه الأول بمدينة شفشاون، إنها خيمة من طابقين، يقول بدل مزهوا وهو يشير بيديه إليها، ويضيف مبتسما-وكانه يسخر من الفخفخة واللهاث واللف على الإقامة في فنادق مترفة:- إنها قوية وذكية لا تخشى الرعد والبرق والمطر.

الخيمة الزرقاء الحانية تواضعا تطل من دكتها على سماء زرقاء وعلى نجوم و قمر، تحفها أشجار لا تموت إلا واقفة بظلالها الوارفة، يقف بدل بجانبها بلحيته البيضاء، الذي زادته وقارا وحكمة، كلما هم باستقبال ضيوفه الذين يصعدون من المدينة للتمتع بأحاديث ومسامرات صقر الجبل المليئة حكما وقيا، ودهشة وفتنة، وسخرية وإعلاء لراية الإنسان.

لا تكتمل معاني الرحلات إلا بالخيمة الفعلية، وإن كانت الرحلة تغيرت و لا توجد إلا مجازا، لأن الرحالة بدل رفو لا يأتي على صهوة الفرس أو سنام الناقة، لكنني أتصور أن من يعشق الخيمة لا يمكن أن لا تجري في دمه أخبار القوافل ومغامرات الرحالين السابقين وإن امتطى طائرة أو قطارا أو حافلة اضطرارا في زمن الحداثة...ويسر بدل لأصدقائه وكأنه يعتذر بأنه يفضل أن يدخل البلدان برا فالطريق بالنسبة له جزء من الرحلة سواء كانت عامرة بالناس ومجركاتهم وسكناتهم أو مقفرة تزهو فيها الطبيعة بسحرها الخالد.

في الخيمة ينسج بدل قصصه وحكاياته وأحلامه، ويرتاح من تعب الأيام والسنين، تحمله الذكريات إلى أراضي وطئتها قدماه في شتى بقاع الدنيا، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. بالخيمة التي تحتضن الطبيعة وتحتضنها الطبيعة بنسائها و همساتها وتغريداتها، بهبوبها وعوائها ونهاهما...، يصادف أيضا من افتتنوا بالسفر والتخييم، فتثري قصصهم مخزونه الإنساني وتجاربه الحياتية الخصب.

بجانب الخيمة استضاف الرحالة بدل رفو رئيس بلدية شفشاون محمد السفياي الذي قلده في لقاء أدبي سابق وشاح المواطنة الفخرية، و تبادل معه الحديث في جلسة بسيطة بساطة الكبار، والحديث ذو شجون.

بجانب الخيمة يلتقي الرحالة أصدقاءه الأوفياء من مختلف الشرائح الاجتماعية، وكأنه يفصح عن هويته التي تقول: كل قلوب الناس جنسيتي فلتسقطوا عني جواز السفر.

بجانب الخيمة تذوقنا نكهة الشاي العراقي مع الأسفنج الشفشاوي، واحتسينا مختلف أنواع القهوة الشرقية والغربية مع الحلوى، على إيقاع الضحكات المجلجلة في الآفاق ونغمات القيتارة الكلاسيكية و أنامل منير بشير والمواويل العربية، بجانب الخيمة كان بدل جدلا كرقص الفراشة يكتب في مخيلته سطور لقاء الغد.

في الغد؛ الجمعة 19 من سبتمبر نزل الرحالة بدل رفو من خيمته إلى خيمة أخرى ليحكي لجمهور شفشاون-برحاب المعلمة الأندلسية/المركز الثقافي بالهوتة في لقاء نظمه، جماعة، منتدى الحوار للفنون والثقافات وجمعية فضاءات تشكيلية وجمعية أصدقاء المعتمد- عن ما شاهده وسمعه وتذوقه وخبره في رحلاته، وليروي بشغف عن مدينته الأثيرة شفشاون جوهرة عقد مازاره،

في هذا اللقاء الأدبي الاحتفالي الراقى وقع بدل رفو كذلك الجزء الأول من كتابه "العالم بعيون كردية"، وهو كتاب في أدب الرحلة وضع بين دفتيه ست عشرة رحلة في قالب مشوق وممتع، وقد كتب مقدمته الدكتور عبدالإله الصائغ، كما وقع كتابه "أطفال الهند علموني/ قصائد وشهادات من الأدب الكوردي في المهجر" الذي يتضمن قصائد الرحالة وشهادات لكتاب وشخصيات عربية عن تجربته كشاعر ورحالة مبدع في أدب الرحلة المعاصر، و الكتاب صاغ مقدمته الشاعر والناقد المغربي الحسن العابدي.

وإني أتخيل الآن الخيمة الزرقاء ترقص دفئا وغناء تحت ضوء القمر، وتشرّب إلى مواعيد ثقافية وأدبية أخرى يلتقي فيها بدل رفو بأصدقائه وجمهوره، كما أتخيلها كبساط الريح يرحل ببدل رفو إلى حيث تهفو نفسه؛ إلى عوالم الحرية والجمال والإنسان.

عبدالحى مفتاح